

الأعلام المكانية في شعر ابن دراج القسطلبي *

أ.م.د. غيداء أحمد سعدون
جامعة الموصل / كلية التربية للبنات

ملخص البحث

فإن لوحة المكان تقبع في العقل في سنتطقها الشاعر عبر أرجوحة الماضي والحاضر والمؤمل وبفراغ أحاسيسه تجاهها.

وفي هذا البحث نقف عند أسماء الأعلام المكانية التي ذكرها الشاعر الأندلسي ابن دراج القسطلبي وهو كأي شاعر من شعراء الأندلس المفطورين على حب الشرق له وقفاته في تعرجات الأمكنة العربية مستنطقاً دلالاتها وإحياءاتها الدينية والتراثية والأسطورية وما تكتنزه من ثراء علمي ومادي ممثلةً مكان الحلم عنده كونه لم يزر أياً منها غير سبتة.

في الوقت ذاته عُدَّ القسطلبي من أبرز الشعراء الذين اهتموا بتثبيت الأعلام المكانية الأندلسية وبخاصة تلك التي تم فتحها على أيدي ممدوحيه تخليداً لفتوحاتهم، هذا وأن شهوده نكبة قرطبة في حياته دعاه إلى الإحساس بهشاشة واقع بلاد الأندلس وضرورة توثيق كل ما يمت بأحداثها ومعالمها العمرانية والطبيعية بذكره مسمياتها لتثبيت وجودها وسط الضياع المتوقع .

وبهذا تكون الدلالات التي ذكرها ابن دراج فيما يتعلق بالأعلام المكانية تتفق مع دلالاتها الواقعية في أساليب تكتنفها جودة السبك، وقوة العبارة.

وقد وقفت الدراسة هذه عند كل علم مكاني ذكر في شعر الشاعر وقفة متفحصة لسبر أغوار خصوصيته ، والأسلوب الذي استنطق به ابن دراج هذا المكان وتميزه عن غيره وفق منهج بحثي تجميعي لما يخدم الدراسة .

وبهذا تضمن البحث تهيئاً يبين أن التعامل مع الأعلام المكانية يمثل التعامل مع المكان العام ومال هذا التعامل من ثوابت ، ثم تضمن جرداً للأعلام المكانية العربية والأعلام المكانية الأندلسية في شعر ابن دراج تبين منه غلبة العربية منها على الأندلسية بشكل واضح، ثم التطرق الى مبحثين ضم الأول منهما الأعلام المكانية العربية، في حين ضم الثاني الأعلام المكانية الأندلسية تلتها خاتمة للبحث وثبت لمصادره ومراجعته.

Abstract

The current study deals with every proper name mentioned in Ibn Darraj's poetry and the style of this poet which used it to achieve his aim in this approach. This research implies an introduction about the proper names and how to deal with public places, it also implies an inventory for the Arabic and Andalusian proper names in Ibn Darraj's poetry which concluded that he used the Arabic names more than the Andalusian ones.

Finally, this study has two sections : the first speaks about the Arabic proper names and the second with Andalusian proper names and then the conclusion and references.

تمهيد: مسميات الأعلام المكانية

ينماز المكان العام عن غيره من الأماكن بأنه يخضع لسلطة عامة نابعة من الجماعة (الدولة) ، فيكون الفرد بذلك ليس حراً تماماً فيه ، وإنما تتحكم به أنظمة قد تكون له يد في وضعها بشكل أو بآخر (١) .

وليس من الضرورة أن تخضع جميع الأمكنة العامة لنظم مشتركة أو متشابهة ، وإنما قد يكون لكل منها خصوصية نظامية ينماز بها عن غيره من الأمكنة ، فضلاً عن خصوصيته الجغرافية والتاريخية والقيمية والدلالية التي تميزه .

أما عن مسميات تلك الأمكنة ، فإن الكثير منها قد استقي من سماتها أو من سمة مميزة من تلك السمات ، إذ إن " للمكان أسماء ينسجها قاطنوه بحسب ما يهيم المكان من صورته " (٢) ، وبذلك تتميز أسماء الأعلام المكانية عن غيرها من التسميات بأنها أقرب صلة الى مسمياتها ، وهي تشكل بدورها أطراً معرفية جماعية متناقلة عبر الأزمان وموحدة في كل اللغات ، مشكّلة باسميتها " العلامة المسبقة المنفتحة على القراءة " (٣) . ويتشكّل الأسماء المكانية علامات معرفية جماعية توحى بدورها في اجتناث الفرد من ذاتيته وانطوائيته من خلال اندماجه مع الجماعة ، فضلاً عن مساعدته في التغلب على التفكك الناشئ عن التقسيم المكاني والزمني للعالم ، ومساعدته أيضاً في أن ينقل نفسه إلى الماضي البعيد ، أو إلى أي مجال آخر للوجود . فالمعرفة في الواقع قوة موحدة في عالم مفكك (٥) .

وإن كان الاتفاق الجماعي على اغلب تسميات الأماكن العامة أمراً مسلماً به ، لكن هناك اتفاق أيضاً على ان الدلالات التي تحملها تلك المسميات قد تختلف من جماعة إلى أخرى ، ومن فرد إلى آخر بحسب الرؤية الجماعية الخاصة ، أو الرؤية الذاتية للفرد إلى تلك الأماكن . فدلالة دولة من الدول على القوة والعظمة في منظور جماعة من الناس ليست بالضرورة ان تنعكس على جميع البشر ، فقد تنتظر إليها جماعة أخرى على انها رمز للتجبر والظلم والطغيان ، وبذلك ينبغي على القارئ أن يقف عند أسماء الأعلام المكانية في النص الأدبي وقفة قارئ شعري ، لا آخذاً بالمسمات الجماعية للدلالات السياقية لذلك المكان ، إذ قد يكتشف رؤية خاصة للأديب منبثقة عن هواجس جماعته الخاصة ، أو عن هواجسه الذاتية إزاءه .

وفي الشعر بعده نصاً أدبياً مميزاً ينبغي أن لا تطغى المعرفة الخارجية للمكان فيه على جماليته الشعرية ، وإن كان ذلك لا يعني أن نتخلّى تماماً عن تلك المعرفة الخارجية ، وإنما نستخدمها استخداماً مثمرًا ، ولا يكون ذلك إلا بشروط منها : " إذا لم تكن تضعف الانتباه الجمالي الى الموضوع أو تقضي عليه ، وإذا كانت متعلقة بمعنى الموضوع وطابعه التعبيري ، وإذا جعلت لاستجابتنا الجمالية المباشرة للموضوع طابعاً ارفع ، ودلالة أقوى ^(١) ، وبذلك يكون المزج بين المعرفة الخارجية والتقبل الجمالي للمكان هو الذي يعطي الحظ الأوفر للتعبير المثمر ^(٢) .

ومن جهة أخرى فإن تخيل الأمكنة والرؤية الذاتية لها لا تمحو أهميتها الجغرافية والتاريخية والقيمية ، وإنما تجعل منها أمكنة مفتوحة دلاليًا ، مكتسبة جديداً ينضاف إليها عند كل قراءة من خلال قدرة الذات المنطقية على تملي اللغة الواصفة للمكان ^(٣) . فالعلاقة بين اللغة والمكان علاقة صميمية متمثلة في محتوى وحاوٍ له ؛ فالمكان يحتوي الموجودات ، واللغة تحتوي المكان ، ولا مناص من الوقوف عند تلك العلاقة لمن يحاول استشفاف دلالات المكان في أي عمل أدبي ، إذ إن " السيطرة على المكان تتحقق من خلال اللغة ابتداءً بالتسمية وانتهاءً بشحنه بالقيمة الدلالية والرمزية ، وعليه فاللغة تتيح (سمطقة) المكان وجعله علامة لغوية إرشادية " ^(٤) .

أما بصدد الوقوف عند المكان في شعر ابن دراج القسطلبي فيبرز جلياً احتفال شعره بذكر الأعلام المكانية بمسمياتها المعروفة ، ناقلاً إياها من كونها أماكن خامة وقعت فيها الأحداث ، إلى أماكن مكتنزة بالدلالات التاريخية منها والاجتماعية والنفسية والقيمية مما يتعلق بخصوصية كل من تلك الأمكنة .

ومن خلال النظرة الأولى على تلك الأعلام المكانية الواردة في شعره يمكننا ملاحظة أن الغالب الأعم فيها يمكن حصره في كونها متعلقة إما بالبلدان العربية، أو بالبلدان الأندلسية ، مع النزر اليسير

من ذكر متعلقات مكانية غيرها . مما دعانا للوقوف عند ذلك الغالب الأعم منها ، محاولين استجلاء دلالاتها من خلال سياقاتها النصية ، على وفق رؤية الشاعر لها من جهة ، وقراءتنا المتواضعة لها من جهة أخرى . وسنحاول حصر تلك الأعلام المكانية في الجدول الآتي ، مرتبة حسب تسلسلها الهجائي ، ومرفقة بأرقام الصفحات التي وردت فيها ضمن ديوان ابن دراج القسطلبي .

الأعلام المكانية العربية	الأعلام المكانية الأندلسية
الأبراج من أجا ١١٢ / آجباد ٧١ / أحد ١١٠ / إرم ذات العماد ١١٢ / بابل ٩ / بصرى ١١٠ / بصرى ١٣٦ و ٢١٠ / البطحاء ٧١ / بغداد ١٤٤ / البيت العتيق ٧ / بتوك ١١٠ / تهامة ٥١ و ٧١ / ثبير ٧٤ / ثهلان ٧٤ و ٣٨٨ / جاسم ١٣٦ ، جلق ٤٥٣ ، الحجاز ٣٩٢ / الحجر ٧١ و ١٥٧ / الحطيم ٢٣٠ / دجلة ١٧٢ و ٤٤٩ و ٤٥٣ / رامة ١٣٩ / الركن ٧١ / زمزم ٧ و ٢٣٠ / سبأ ١٢ و ١٠٦ و ١٤٣ / سد مأرب ١٠٥ و ١١٢ / سر من رأى ٤٥٣ / سندان ١١٢ / سيحان ٣٨٨ / السيلحين ١١٢ / الشام ٣٦ و ٨٠ و ٢٦٤ و ٤١٣ و ٤١٦ / شامة ٧ / صنعاء ١١٢ و ١٤٥ / طفيل ٧ / طيبة ٦٣ / العراق ٧٥ و ٩١ و ١٣٦ و ١٧٢ و ١٨٠ و ٣٦٠ و ٤١٦ / عرفات ٢١٩ و ٢٢٦ / غمدان ١١٢ / الغور ٧١ / الفرات ٤٤٩ / القيروان ٣٩٢ / الكوفة ٦٣ / مرج راهط ٤٤ / المروتين ٧ و ٢١٩ / مصر ٧٧ و ١٧٢ و ٢٦٤ و ٢٦٧ و ٢٦٩ و ٣٩٢ و ٤١٣ / المغرب ٢٦٤ / المقام ٧ و ١٩٢ / مكة ١ و ١٧٩ و ١٩٢ و ٢١٩ / نجد ٥١ و ٦٣ و ٧١ / النيل ١٧٢ / وجره ٣١٩ / اليمن ٧١ و ١٠٦ و ٢٦٤ و ٣٠٣ و ٣١٣ و ٣٨٧ و ٣٨٩	آر ٥٥ / إيلياء ٣٧ / بنبلونة ١٢٣ و ٣٢٦ و ٣٣١ / بنسية ٨٩ / بوغة ٣١٨ / تاجو ٤٤٣ / خليج دوير ٣٤٨ / دار السرور (كتاب التشبيهات ٧٠) / الراح ٣٣١ / الرصيف ٣٦٤ / الزاهرة ٤٤٥ / سرقسطة ٢٦٥ / شرنبة ٥٤ / شنت اشتينا ٣٨٥ / شنت أفروج ٣٣٢ / شنتياقة (شنتياقب) ٣٧٣ و ٣٨٩ / قبرة ٧٧ و ٣٠٥ / قرطبة ١٠٨ و ١٣٨ / قشتلة ١٢٨ و ١٣٤ / قلنية ١٥ و ٣٨٤ / قنتيش ٥٤ / كرتة ٣١٨ / لميق ٣١٧ / لنيوش ٣٩١ / لونة ١٩ و ٢٠ و ٣١ / ليون ٣٤٧ / المرية ٧٦ / ناجر ٢٤٠ .

فأول ما يستوقفنا في هذا الجدول المكاني ، ذلك الفرق الواضح بين ذكر الأعلام المكانية العربية وتكرارها نسبة إلى الأعلام المكانية الأندلسية في شعر شاعر أندلسي ولادة ونشأة ، مما يقودنا إلى

محاولة الوقوف عند دلالة ذلك التكتيف المكاني من خلال استقراء الدلالات السياقية النصية لعدد من تلك الأعلام العربية منها والأندلسية فيما يأتي:

أولاً : الأعلام المكانية العربية

إن اكتناز شعر ابن دراج القسطلّي بالأعلام المكانية العربية من أسماء الدول والمدن والجبال والأنهار وغيرها، مما تحمله من علامات خاصة بكل منها يوحي بمدى اهتمامه بتلك الأصقاع من العالم ، وتوجّه نظره إليها بعين التقديس والإجلال ، على الرغم من أن المصادر التاريخية والأدبية التي تناولت الحديث عن واقع حياته أكّدت عدم رحيله إلى تلك الأصقاع على الرغم مما كان شائعاً من رحلات الأندلسيين إليها سواء أكان مبتغاهم دينياً أم علمياً^(١٠) . أما عن ابن دراج فيبدو أنه قد رحل مرة واحدة فقط إلى مدينة (سبتة) حسبما تشير المصادر التاريخية والأدبية ، وكانت تلك رحلته الأولى والأخيرة إلى خارج بلاد الأندلس^(١١).

وبذلك تكون انطباعاته عن تلك الأماكن مستندة إلى اطلاعه الثقافي المخزون في الذاكرة الجماعية ، تلك الذاكرة التي بمقدورها إعادة الوجود الآني إلى وجود ماضوي يثبت انتماء الأنّا إلى ذلك التاريخ الماضوي للإنسان المتواري في أعماق الوجود^(١٢) . ويعدّ ذلك الانتماء الجذوري ضرورة لمن عاش في خضمّ صراعات تهدد وجوده الآني والمستقبلي .

هذا وأن أكثر ما يتردد ذكره من الأعلام المكانية العربية يعود إلى تلك التي تحمل دلالات تشير إلى قدسيّتها الدينية الإسلامية ، كون الإسلام قد بزغ فجره ، ورسخت أركانه في أحضان أرض العروبة ، ومنها انتشر إلى أرجاء المعمورة .

ومن القصائد التي يكتفّ فيها ذكر مثل هذه الأماكن تلك القصيدة التي يمدح بها (المنصور بن أبي عامر) المعروف بكثرة فتوحاته وانتصاراته ، مشيراً إلى أن تلك الانتصارات لم تكن لتلهيه عن تأدية فرائضه الدينية ، ومنها تأدية مناسك الحج التي يشير إليها من خلال ذكر الأمكنة التي تؤدّى فيها بقوله^(١٣) :

فواتح عزّ ما لها دون (زمزم)	ولا دون سعي (المروتين)
وهل عائق عنها وكل سنية	إليك تسامى أو إليك تؤول ^(١٤)
سيوف على الجرد العتاق عزيزة	وأرض إلى (البيت العتيق) ذلول
فقد أذنت تلك الفجاج ويمثت	حزون لمهوى مرها وسهول ^(١٥)
وقام بها عند (المقام) مبشر	وشام سناها (شامة) و (طفيل) ^(١٦)

فذكر ابن دراج للأعلام المكانية التي تتعلق بأداء مناسك الحج مثل (زمزم ، والمروتين ، والبيت العتيق ، والمقام ، وشامة ، وطفيل) وتكرارها بهذا الشكل المكثف يدل على تأكيده جلال مرتبتها وقديسيتها ، فضلاً عما يكتنزه كل علم منها من دلالات سياقية تاريخية ودينية مكثفة ، فلفظة (زمزم) مثلاً الدالة على ذلك البئر في مكة تستدعي قصة النبي اسماعيل (عليه السلام) وترمز إلى إمكانية تحقق ما يصبو إليه الإنسان بعد طول سعي وصبر وعناء . وفي هذا النص يتوافق ذكر هذه الدلالة مع السياق النصي ؛ إذ ان الممدوح قد تمكن من إحراز النصر والفتوحات الإسلامية بعد طول عناء ومشقة وتخطيط وتجهيز ، كما ان غفران الذنوب عن طريق تأدية مناسك الحج لا يتم إلا بعد طول عناء ومشقة . فابن دراج قد أوحى إلى ذلك المعنى بذكره لفظة (زمزم) وإتباعها أيضاً بقوله : (سعي المروتين) التي تشير إلى المعنى ذاته والتي بإتمامها يتم الاستقرار والسكون المشار إليهما بلفظة (قفول) التي ينتهي بها البيت الأول من هذه الأبيات ، والذي يبدؤه بلفظة (فواتح) الموحية بالانفتاح الحركي والمكاني ، وبذلك تتشكل في هذا البيت ثنائية (الانفتاح / والانغلاق) ؛ الانفتاح الذي يتمثل تصعيده في بلاد الأندلس عن طريق الصراعات من أجل بث الدعوة الإسلامية في شتى البلدان والذي يمثل صدئاً لما مرّ من أحداث في تلك البؤرة المكانية الدينية التي انبثقت منها الدعوة الإسلامية ، والتي كانت تمثل في الماضي بؤرة انفتاح يستغل العالم عن سماع صداها ، في حين تمثل في الحاضر بؤرة انغلاق مستمسك بالدين الإسلامي الذي لا تقهره دعوات أخرى في الوقت الذي تمثل بلدان العالم الأخرى مكاناً انفتاحياً متقبلاً للدعوة :

مكة ومتعلقاتها المكانية

في الماضي (مع بدء الدعوة الإسلامية)	في الحاضر (أيام الفتوحات الإسلامية)
بؤرة مكانية منفتحة إسلامياً على عالم مغلق	بؤرة مكانية منغلقة إسلامياً على عالم مفتوح

أما في إشارته إلى الكعبة المشرفة بذكر (البيت العتيق) بهذا التركيب اللفظي ، فقد أوكله الكثير من الدلالات المنبثقة من كلا اللفظين ، فضلاً عن الدلالة التي يوحيها تركيبهما مع بعضهما ، فلفظة (البيت) توحي إلى ذلك الإحساس الأمومي للمكان ، وما يضمّه من دلالات الألفة المكانية ، والذكريات الدافئة المهددة للنفس الإنسانية^(١٧) . وفي إضافتها إلى لفظة (العتيق) تكون قد أضفت قوة للدلالة على الأمومية والأصالة والقدم ، فضلاً عن دلالتها على ثبات ورسوخ ذلك المكان وما

يتعلق به من معتقدات على الرغم من تغيّر الأزمان وتعاقب الأجيال ، مما يوحي بثبات أركان الدين الإسلامي وسط هشاشة الوجود وتهشمه .
كما أن لفظة (العتيق) في سياق البيت الشعري الذي وردت فيه قد توحى بـ(العتيق) أيضاً ، إذ يقول فيه :

سوق على الجرد العتاق عزيزة وأرض إلى (البيت العتيق) ذلول

إذ يلتبس بهذه اللفظة معنى العتيق من قيود الصراعات المتتالية لما بينّه ذلك المكان من استشعار بالراحة النفسية بعيداً عن الأعباء الدنيوية والصراعات المتوالية في الفتوحات الإسلامية ، أما (المقام) فقد ورد تقديس مكانه مؤكداً في القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾^(١٨) وقد أوحى ابن دراج بهذه الدلالة كما انه جانس بين (قام) و (المقام) ليوحى بالارتفاع المكاني الذي يمنح إشارة إلى علو منزلة ما ترمز إليه ، وإلى علو شأن من يردّها متعبداً وما تنمّ عنه تلك الزيادة من بشارة خير له في دينه ودنياه .

كما أنّ في ذكره (شامة) و (طفيل) وما يحيلان إليه من كونهما جبلين بمكة ، فإن خصوصية لفظيهما تشير إلى أن تسميتهما مقصودة لا اعتباطية ، إذ إنّ في رؤيتهما إشارة للوصول إلى تلك البقاع المقدسة ، وفي لفظيهما ما يوحي إلى كونهما علامات مائزة ، من حيث كون " (شامة) توحى بتلك العلامة المخالفة في اللون لغيرها " ^(١٩) .

و (طفيل) توحى بلفظ (الطفل والطفلة) من أسماء النار أول قذحها^(٢٠) والتي يمكن أيضاً عدّها من العلامات المائزة للوصول إلى المكان المراد . وفي هذا ما يدل على مقصدية هذين العلمين المكانيين وتنحيهما عن الاعتباطية .

هذا وكثيراً ما يشير ابن دراج الى امتداد نسب ممدوحيه الى تلك الأماكن العربية الإسلامية إكراماً لهم واعلاءً لشأنهم. وبخاصة أولئك الذين يشير إلى انتسابهم للنبي الكريم محمد ﷺ كقوله في مدح عبد الرحمن المرتضى^(٢١) :

لك الشرف الفرد الذي انت فرده

نموك إلى بيت النبوة وابتنوا

وأمد بمن مجد الخلائف مجده

فأفخر بمن قرب النبيين فخره

وكل إمام في البرية جده

ومن كل حق في الخلافة حقه

ومرضعه البطحاء والحجر مهده^(٢٢)

ومن أمه (اجباد) والركن ظنره

ومنهج سبل الحج ، والنجد نجده

له حرم الإتهام ، والغور غوره

فتنتجلى في هذه الأبيات الأعلام المكانية العربية الإسلامية المقدسة من ذكر (أجياد ، والركن ، والبطحاء ، والحجر ، والإتهام ، والغور ، ونجد) ، بكل ما تحمله من معاني القداسة الدينية ، وما توحيه في السياق النصي من معاني الأمومة والاحتضان لممدوح ابن دراج بجعل (أجياد أمه) و(الركن ظئره) و(البطحاء مرضعه) و(الحجر مهده) ، وكذلك في نسبه (تهامة ، وسبل الحج ، والغور ، والنجد) له دلالة على انتمائه الصميمي إلى تلك الأصقاع المقدسة التي تعلي من شأنه .

وأما في انصواء كل تلك الأعلام المكانية تحت دلالة الامومة فذلك كونها منصوبة تحت ظلال مكة المكرمة التي تعد أرضها - بحسب المعتقدات الإسلامية - موطن الإسلام الأول ؛ إذ تشير المصادر الأسطورية والتاريخية والدينية إلى أن أبا البشر آدم (عليه السلام) وزوجه حواء قد نزلا إلى تلك الأرض المقدسة بعد أن أخرجوا من الجنة . وبذلك تكون أرض مكة المكرمة متضمنة أمومة الموطن الأول للبشرية جمعاء ، ومنها انبثق الوجود البشري إلى شتى أصقاع العالم (٢٣) . وبهذا يكون ذكرها من قبل الشعراء ومنهم ابن دراج القسطلبي من باب التشوق والحنين إلى الأرض الام ، ولذا كثر ذكرها وذكر متعلقاتها المكانية وبخاصة ذكر (نجد) منها في شعرهم ن حتى قال ياقوت الحموي : " لم يذكر الشعراء موضعاً أكثر مما ذكروا نجداً " (٢٤) . ويرى عبده بدوي ان (نجداً) تعد رمزاً للجزيرة العربية ، وللنقاء الأول ، وللعودة الى هذا النقاء (٢٥) .

كما يمكن ان يشير ذكر مثل هذه الأماكن في شعر الشعراء الأندلسيين ومنهم ابن دراج القسطلبي إلى مدى عمق الانتماء الثقافي والتاريخي والديني الممتد في جذور عروقتهم إلى تلك الأصقاع العربية كما ان قدسية الأماكن العربية في شعر ابن دراج لم تقتصر على ذكر تلك المتعلقة بمكة فحسب وانما نراه ينوّه أيضاً بقدسية مدينة (الكوفة) من خلال قوله في مدح القاسم بن حمود وأخيه علي (٢٦) :

فأجعلن ثناء ما أوليتما زاداً لكل مكوفٍ أو منجد
حتى يسمع طيب ما أثني به قبر بطيبة أو بصحن المسجد

فذكر (مكوفٍ أو منجد) ويريد من يسافر إلى الكوفة أو نجد فيترنم بقصائده في رحلته إلى هذين المكانين اللذين يشير إلى قدسيتهما الدينية من خلال الإشارة في البيت الثاني إلى وجود قبر النبي محمد (ﷺ) ب(طَيْبَةٍ) ، وقبر الإمام علي (كرم الله وجهه) في (الكوفة) بصحن المسجد ، ملمحاً إلى تراسل الحواس في ذلك البيت من خلال ذكره (يسمع طيب ما أثني به) فالسمع يكون بالأذن ، أما الطيب فيكون الإحساس به عن طريق الأنف ، ولكنه في سياق النص يشير الى سمع مميز لتمييز مكان السامعين فيه في قبرهما .

كما ويمكن أن يكون ذكره لهذين المكانين (نجد والكوفة) إشارة منه إلى أنّ الرحال تُشدّ من الأندلس إلى البلدان العربية لإحدى اثنتين : أما الحج ، أو لطلب العلم . فقد يكون في ذكره لـ(نجد) إشارة إلى الحج لكونه من الأماكن المتعلقة به . وذكره لـ(الكوفة) إشارة إلى طلب العلم لكونها - في ذلك الزمان - تعدّ منبراً من منابر العلم الأساسية في البلاد العربية . وإنّ التغني بشعره من قبل الراحلين إلى هذين المكانين فيه فخر ودلالة على انتشار أشعاره فيهما ، وبالتالي يعوّض رحيل أشعاره إلى تلك الأماكن عن رحيله الفعلي مما يسبغ عليه مكانة اجتماعية مرموقة ، إذ " كانت رحلة الأندلسي إلى تلك الربوع المشرقية تعطي لصاحبها تقديراً خاصاً في الوسط الاجتماعي ، إضافة إلى اعتباره قد حصل على صفة من صفات الكمال العلمي "(٢٧) ، فكيف إذا حظيت أشعاره بالقبول في تلك الربوع ؟ .

هذا وإن ابن دراج يشير في أكثر من موضع إلى انتشار شعره في (العراق) ، حتى أنه يوحي في أحد أبيات قصائده برحلته الفعلية إلى هذا البلد العربي بقوله (٢٨) :-

فإن غربت أرض المغارب موئلي وأنكرني فيها خليط وخلان
فكم رحبت أرض العراق بمقدمي واجزلت البشري علي خراسان

لكن معظم الدارسين لحياته أكدوا على عدم رحيله الفعلي إلى (العراق) أو (خراسان)، وأنما قصد بذكرهما ترحيبهما بشعره الذي يبدو انه قد وصل إليهما في حياته ، واستقبله أهلها وعلماءها بالترحيب والتقبل (٢٩) .

ويبدو أنه قد خصّ (العراق) بالذكر لما اشتهر به من ضمّه خيرة العلماء والأدباء واجتذابه للمتعلمين من شتى أصقاع العالم آنذاك . أما في ذكره (خراسان) فقد يكون لاشتهارها بالعلم أيضاً ، أو انه ذكرها للإشارة إلى البعد المكاني الذي قد وصلت إليه شهرة أشعاره لشساعة بعد هذا البلد عن بلاد الأندلس من جهة ، ولما يوحيه لفظ (خراسان) بضمه ألفي مد من ذلك البعد المكاني أيضاً .

وكما يؤكد تلك الدلالات أيضاً من خلال قوله (٣٠) :

ورميت آفاق العراق بشرد ليس العجائب عندها بعجائب

هذا وإنه يُنْتَي بذكر (الشام) في مواضع من شعره - بعد العراق - للإشارة إلى ضلوعها أيضاً بالعلم والأدب وكونها مكاناً لاستقطاب أشعاره ، فيقول في إحدى قصائده^(٣١) :

حتى تفوح لك الجنايب والصبأ
بثائها من معرقٍ وشامي

ويقول في أخرى^(٣٢) :

فلأهتفن بحمدها وثنائها
وجزائها في معرقٍ وشامي

وفي غيرها^(٣٣) :

فيحسدني فيك العراق وشامه
واباك في عبد شمسٍ وهاشم

فالملاحظ أنه في الأبيات الثلاثة آنفة الذكر والتي تنتمي إلى قصائد مختلفة قد قدّم فيها ذكر العراق على الشام ، كما أنه قد نسب الشام إلى العراق في البيت الأخير منها مشيراً إلى تبعية الثاني منهما للأول (العراق وشامه) ، وفي ذلك دلالة على اشتهاار العراق آنذاك بالعلم والشام أيضاً مع أسبقية العراق على الثاني في هذا الموضوع من حيث القدم ومن حيث الشهرة ، هذا وان لفظ (العراق) بحد ذاته يشير الى العراقة والقدم والأصالة ، فهو مهد الحضارات الأولى في سومر وبابل وآشور ، كما ان في انتساب الشام إلى العراق في (العراق وشامه) إحياء إلى ان علم (الشام) مستقى من بلد العلم الأم (العراق) .

ومثلما خص (الكوفة) من (العراق) بالذكر في اضطلاعها بالعلم والأدب نراه يخصص (بُصرى وجاسم) من مدن الشام لاضطلاعهما بذلك أيضاً ، فيقول^(٣٤) :

وصرت بها أقلام ضيفك صرة
تصر لها الآذان بصرى وجاسم^(٣٥)
فزودها الركبان شرقاً ومغرباً
ووافت بها جمع الحجيج المواسم

ففي تخصيص هاتين المدينتين بالذكر وكونهما قد (صرت آذانها) إعجاباً بشعره دليل على مدى اهتمامهما بالشعر والأدب واضطلاعهما به .

هذا وان الشاعر قد ذكر (العراق) و (مصر) في مجال الدلالة على امتلاكهما الثروات ، من ذلك قوله في مدح كرم ضيافة منذر بن يحيى للأمير بن مورو (٣٦) :

فأريته كيف ارتجاع حياته ولتلك أيسر ما بدأت تنيله
من فيض عرفٍ تستقل كثيره ولقد يزيد على الرجاء قليله
نزلا يذكره العراق ومصره ملكاً وبعجلته يداك ونيله

وهو يقدم ذكر (العراق) على (مصر) في البيت الأخير من هذه الأبيات ، كما انه ينسب مصر إلى العراق في مجال الدلالة على عظمة ملكهما وثروتهما ، فيلتمس في ذلك تأكيداً على تفضيل (العراق) على (مصر) في انتساب تلك الدلالات إليه .

وقد حُقَّ للعراق ان يفضل على غيره من البلدان في امتلاك ناصيتي العلم والمُلك لقدم حضارته أولاً ، ولاكتنازه بالثروات ثانياً .

أما بالنسبة إلى (مصر) في البيت الأخير فقد يريد به نسبة (مصر) إلى ابن مورو ، وذلك أيضاً من محتمل القول ؛ إذ انه في موضع آخر من شعره يشير إلى ان (مصر) كانت في عصر من عصورها موطناً للأقباط ، إذ يقول في إحدى قصائده (٣٧) :

وأنى لفل القبط في مصر موئل وقد غيل فرعون وأهلك هامان
وعودة إلى (العراق) ودلالاته في شعر ابن دارج فضلاً عن اكتنازه للعلم والملك فانه يشير الى ذكر (سر من رأى) في مجال حديثه عن جمال البيئة فيها ، بعدّها مضرباً للمثل في جماليات المكان ، إذ يشبه بها - على ما يبدو ومن مفتاح القصيدة - مدينة (سرقسطة) الأندلسية قائلاً (٣٨) :

وفي (سر من را) من محلي مقاصر تلاعب فيهن الظباء الجائر (٣٩)
وتزهى بها من صنو دجلة لجة تخلل منها الروض جارٍ وجائر

فأشار الى علمين مكانيين في العراق (سر من رأى) و (دجلة) في مجال مقارنة الجمال والثراء البيئي لمدينة (سرقسطة) الأندلسية ونهرها (ابره) بهما . لما عرف عن مدينة (سر من رأى) من جمال الطبيعة ، وعظمة العمران حتى عدت مضرب الأمثال بالجمال المكاني في مختلف أنحاء العالم .

ومن المدن الأندلسية التي شبهت بـ(سر من رأى) أيضاً مدينة (قرطبة) ؛ كونها المدينة الأندلسية التي أُلّف عنها تشبيهها بذلك الجمال المكاني من بلاد المشرق العربي لموقعها الاقليمي فضلاً

تشابهها العمراني ، حتى ان ابن حزم في حديثه عنها ذكر " انها تقع مع سر من رأى في إقليم واحد ، وأشار إلى امثال الصفات في هذين المكانين لانضمامهما الى ذلك الإقليم "(٤٠) .

وفضلاً عما تقدم من الدلالات التي تشير إليها الأعلام المكانية العربية في شعر ابن دراج ، فقد أشار أيضاً في أكثر من موضع إلى دلالة (اليمن) على الأصالة والعراقة والقدم من خلال تأكيده على انتساب عدد من ممدوحيه إلى تلك البلاد وقبائلها ، مثل قوله في مدح المرتضى(٤١) :

وإن يك في سرو اليمانيين أصله
فطاعته في عبد شمس ووده(٤٢)

وفي ذكره (سرو اليمانيين) يشير إلى التصاق هذه الصفة بأهل بلاد اليمن للدلالة على ضلوعهم بالمروءة والكرم والشرف وماشاكلها من القيم التي يمتاز بها اهل ذلك البلد العريق في القدم كونها من المتطلبات الأساسية للحياة في النظم القبلية التي عرفت بها تلك البلاد(٤٣) .

كما انه أشار إلى دلالة هذا البلد العريق أيضاً على التحضر العمراني فيه وفي غيره من البلدان العربية المغرقة في القدم في قوله مفضلاً منزلة الممدوح عن تلك الحضارات المادية الزائلة(٤٤) :

وهمة لك يا(منصور) ما هدأت
حتى رأتك لعين الدين إنسانا

فهدمت بك بنيان العدى فرقاً
وشيدت لك فوق النجم بنيانا

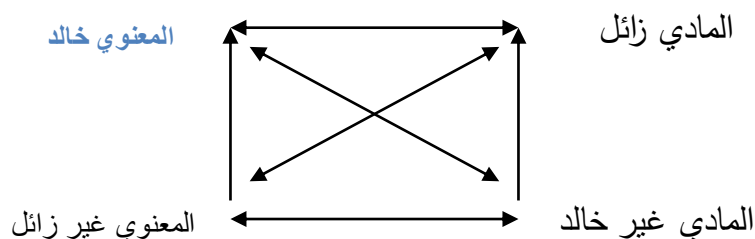
ينسي بناءكم صنعاء بل إرمأ
ذات العماد وسنداداً وغمدانا(٤٥)

والأبلى الفرد والأبراج من أجاً
والسليحين وسداً كان ما كانا(٤٦)

فيبدو في هذه الأبيات مدى ثقافة وإطلاع ابن دراج القسطلي على التاريخ العربي والأساطير التي حيكت حول هذه الأعلام المكانية (صنعاء ، إرم ذات العماد ، سنداد ، غمدان ، الأبلى الفرد ، الأبراج من أجاً ، سد مأرب - الذي يشير إليه بسد كان ما كانا -) التي اشتهرت بعظمة عمرانها وبالتالي عظمة الشأن الذي ارتقت إليه مثل تلك الأعلام المكانية العربية في غابر أزمانها ، وفي ذلك تعظيم من شأن العروبة التي ينتمي إليها ممدوحه المنصور منذر بن يحيى ، لكنه يعود ليُعلي من شأن ذلك الممدوح على رسوخ وثبات تلك البنايات الشاهقة المادية ، وبالتالي على شأن مالكيها ، كون همة ذلك الممدوح في الفتوحات الإسلامية المتتالية قد غلبت منزلته على منزلة تلك البنايات المادية ، وقد عرف المنذر بذلك الشأن فعلاً(٤٧) .

فالشاعر بذلك يرفع من كفة المعنوي الخالد عبر توالي الأزمان والأجيال على كفة المادي الزائل لا محالة عبرهما .

فضلاً عن أنّ ذكر مثل تلك الأمم البائدة التي علا شأنها يوماً من الأيام ثم اندثرت فيه دلالة على قصد العبرة واستخلاص الموعظة وكون تلك البناءات العالية لم تقم الموت حين داهمهم^(٤٨) ، فهو مصير كل حي مهما علا شأنه ، وبقاء الإنسان وخلود ذكره لا يكون إلا بأن يلتصق حسن الصنيع المخد للذكر ، والذي يكون للشعر في تخليده حظوة كبرى ، فإن طال بناء أولئك الهرم والزوال ، فلم يطل الشعر في ممدوحى ابن دراج النسيان والمحو ، وفي ذلك حث لهم على إكرام مثواه .



ومما تقدم من ذكر ابرز الدلالات للأعلام المكانية العربية في شعر ابن دراج يمكن القول أنه غالباً ما يسخر في تلك الدلالات المعارف التاريخية والدينية والعلمية التي عُرِفَتْ بها ، وانه كثيراً ما يشير الى ذكرها وهو يقف بين يدي ممدوحين يمتد نسبهم إلى القبائل العربية القديمة ، كما انه يعلن عن تفضيله لعدد من تلك الأماكن على الأماكن الأندلسية التي ولد ونشأ فيها مما يؤكد جلالة قدرها في نفسه ، والأهم من ذلك كله اختيار اسمية الكثير منها على وفق ما يتناسب والدلالة السياقية، وما يخدم المبتغى الذي يقصده .

ثانياً : الأعلام المكانية الأندلسية

إن الشاعر الأندلسي وهو يعيش خضم الصراعات الدينية والسياسية المتتالية منذ فتح بلاد الأندلس وحتى سقوطها كان كثيراً ما يحاول ابتعاث رموز الثبات والديمومة لمتعلقات بلده إزاء تلك الهشاشة الزمكانية التي شهدا ، وهذا ما أوجد في شعراء الأندلس تلك الرغبة الملحة في إثبات تسميات الأعلام المكانية الأندلسية ، يقيناً منهم بان " التسمية جزء أساسي من عملية تثبيت الأشياء في العالم . فالعالم دون أسماء هيولي غائمة ، وحين تكتسب الأشياء أسماء فقط تتموضع في الوجود بحضورها المادي الجاد "^(٤٩) . هذا فضلاً عن تفصيل القول في الأحداث التي توالى على تلك الأماكن الأندلسية ، وذكر سماتها ، وما يمتاز به قاطنوها .

ويمكن عدّ ابن دراج من أبرز الشعراء الأندلسيين الذين اهتموا بتثبيت الأسماء المكانية الأندلسية ، وقوّادها وقوّاد أعدائها^(٥٠) . ويمكن تعليل اهتمامه هذا لكونه شاعراً مداحاً يبتغي رضى ممدوحيه بتخليد ذكركم واعمالهم في البلدان والمدن التي حكموها ، أو التي تم فتحها على أيديهم . هذا فضلاً عن ان ابن دراج قد شهد في حياته نكبة قرطبة ، وزامن سلسلة المحن التي ألمّت بها إذ كانت أول منعطف خطير في تاريخ تلك الأمة ، وفيها كتب أول فصل من فصول الفاجعة التي هزت أركان الوجود العربي في الأندلس هزاً عنيفاً مما دعاه إلى الإحساس بهشاشة الواقع الأندلسي ، وضرورة توثيق كل ما يمت من صلة ومن أحداث بذكره مسمياتها لتثبيت وجودها وسط الضياع المتوقع .

وأول ما يستوقفنا من ذكر تلك المسميات المكانية الأندلسية تكثيف ذكرها ضمن سرده لأحداث الفتوحات الإسلامية لها ، ويبدو أنّ لمجاراته تحقيق رغبات ممدوحيه أثراً في ذلك التكتيف ؛ إذ يروى أنّ المنصور ابن أبي عامر الذي أشاد ابن دراج بالكثير من صفاته وانتصاراته انه " كان يغزو كل عام مرتين ، وان غزواته قد بلغت نيفاً وخمسين ، وان النصر كان حليفاً له حتى استحق بجدارة لقب المنصور "^(٥١) ، وانه كان يعتمد إلى اصطحاب الشعراء معه في غزواته ليوثقوا أحداثها وليمجدوا ذكره فيها^(٥٢) .

هذا فضلاً عن مجاراته ممدوحيه الآخرين الذين كثرت في عصورهم الفتوحات الأندلسية والصراعات حول امتلاك زمام مدنها ، وهي كثيرة ومتتالية حتى ان بطرس البستاني قد أحصى (٣٧٠٠) واقعة في تلك البلاد نشبت بين العرب والفرنجة منذ فتحها حتى سقوطها ، عدا الفتن الداخلية فيها^(٥٣) ، والمقتفي لذكر تلك الأعلام المكانية في شعره يلاحظ ان اغلبها يرد في مجال الحديث عن الوقائع التي حدثت بين العرب الفاتحين / والإفرنجة ، مؤكداً فيها على الدلالات المشيرة إلى انتهاك قدسيّتها بهدم مواضع التقديس فيها من بيعٍ وأديرة وصلبان إثر تحديها للعرب الفاتحين ، مما أدى إلى موت تلك الأمكنة معنوياً بعفاء تلك المواضع فيها ، فمن ذلك قوله^(٥٤) :

فتلك الربى من (بنبلونة) والحمى من (الراح) مسود بأرجائه الصبح
وبيعة (شنت أقروج) أوريت فوقها سنا لهبٍ فيه لعميائها شرح

فقد أشار في هذين البيتين إلى ثلاثة أعلام مكانية أندلسية (بنبلونة ، الراح ، شنت أقروج) دارت على أرضها المعارك بين العرب الفاتحين / والإفرنجة ، مشيراً من خلال السياق النصي الذي وردت فيه الى اتسامها بالحماية والتحصن والقدسية ، من خلال إشارته إلى (الربى من بنبلونة) التي يوحى بارتفاع مكانها الى سموها وترفعها وثباتها . ثم ذكر (الحمى من الراح) للدلالة على التحصن وبالتالي

أهمية تلك المدينة ، و (بيعة شنت اقروج) الدال على قدسيتها الدينية ذكر (البيعة) أولاً ، وبتسميتها (شنت اقروج) التي تعني باللاتينية (الصليب المقدس) ثانياً^(٥٥) .

كل تلك الأهمية والرفعة والقدسية لم تمنع جيش الفاتحين من اقتحامها واضرام النار فيها ليعبر من خلالها عن نصر الله لأولئك الفاتحين ، وفساد الكافرين الذين أشار إليهم بذكر (عميائها) مستوحياً قوله تعالى في الكافرين : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاعَتْ مَا حَوْلَهُ دَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ صُمِّمَ بِكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ^(٥٦) .

ومثال ذلك أيضاً ذكره للأعلام المكانية التي حدثت فيها وقعة (شنتياقب أو شنتياقة) تلك التي انتصر فيها المنصور ابن أبي عامر وتم على يده فتحها ، إذ يقول في مطلعها^(٥٧) :

اليوم اتكص ابليس على عقبه مبرءاً سبب الغاوين من سببه
واستيقنت شيع الكفار حيث نأت في الشرق والغرب ان الشرك من
(بشنتياقة) لما ان دلفت له بالبيض كالبدر يسري في سنا

فيؤكد ابن دراج في ثنايا هذه القصيدة على مدى قدسية مدينة (شنتياقة أو شنتياقب) والتي تعني باللاتينية (القديس يعقوب) وإنها كانت مكاناً يحج إليه الفرنجة كما يبدو الأثر القرآني واضحاً فيها منذ بدئها إذ قد استوحى الشاعر قوله تعالى في الكافرين : ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَءُتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٥٨) . فيشبه الشاعر حال الفرنجة فيها بالكافرين الذين انهزموا امام المسلمين بعد ان تركهم إبليس الذي أغواهم بخوض تلك المعركة حين رأى الملائكة تعين المسلمين .

كما يشير إلى مدينة (إيلياء) أيضاً في قوله^(٥٩) :

و (إيلياء) التي كانت آلية ذي جهد من الشرك خاشي الإثم
رفعت منها سنا ناراً أضاء لهم ما كان أودعها الشيطان من ريبه

ويبدو ان هذه المدينة الأندلسية قد سميت بـ (إيلياء) لقدسيتها الدينية وتشبيهاً لها بمدينة (بيت المقدس) التي تطلق عليها هذه التسمية أيضاً^(٦١) ، وقد جانس ابن دراج بين (إيلياء) و (آلية) ليوحى بقدسية ذلك المكان ايضاً ، بعده من الأماكن التي يُقسَم بها عند الإفرنجية ، ولا يخفى ما تحمله ظاهرة القسم بالمكان من رؤية انتمايية عقائدية لذلك المكان أو ما يرمز إليه بالنسبة لهم^(٦٢) .

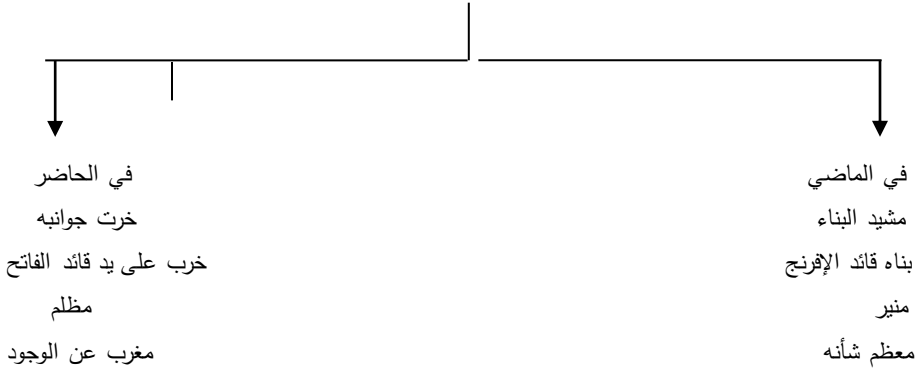
كما ان في وضعه (التي كانت) بين المتجانسين دلالة على هدم تلك القدسية التي كانت تُعلي من شأن المدينة ، والتي خبت قيمتها بعد أن شُنَّت عليها الحرب وأُضرمتُ فيها النيران التي يمنحها في سياق النص دلالة إيجابية في كونها قد أضاعت لأهل تلك المدينة نهج الصواب واجتثتهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام .

هذا وان ابن دراج في الكثير من المواضع التي يذكر فيها الأعلام المكانية الأندلسية يشير إلى مدى تحصنها بذكر قلاعها وحصونها التي أُعدَّت للدفاع عن البلدان الأندلسية ، ولكنه يعرب في النهاية عن هشاشة مثل تلك البنايات المنيعة أمام اندفاع العرب في فتوحاتهم . ومن الأمثلة على تلك الدلالة قوله في الاستهزاء بقائد الإفرنجية الذي بنى حصن لونه^(٦٣) :

فياليت (قوطاً) حين شاد بناءه رآه وقد خرت إليك جوانبه
ويا ليت إذ سماه بدرًا معظماً رآه وفي كسف العجاج مغاربه

فتتجلى في هذين البيتين ثنائية زمكانية تمثل حال حصن لونة بين (الماضي / والحاضر) إذ :

حصن لونة



كما ان في تصوير الشاعر لذلك البرج وقد (خَرَّتْ إلى الممدوح جوانبه) فيه تشخيص للمكان مُطعَمٌ بحسن تحليل خيالي ، إذ شبّه انهيار جوانب ذلك الحصن أمام فتوحات الممدوح بمن يسجد خضوعاً لعظمتها .

كما ان ابن دراج قد أفاد من معرفته باللغتين العربية واللاتينية في التعبير عن مبتغاه. إذ اشار الى إظلام ذلك الحصن الذي قد اسماه قائد القوط الذي أشاد ببناءه بـ(لونة) التي تعني: البدر المعظم في اللغة اللاتينية ، والذي قد أضى بعد هدمه مغزباً عن الوجود .

كما ان في تمني رؤية قائد القوط لذلك الحصن بعد هدمه وإظلامه بتكرار (بالبيت) و (راه) بالماضي ، فيه إشارة إلى انهزام ذلك القائد أو موته أثناء المعركة .

وكذلك فقد أكد ابن دراج في قصائد غيرها على هدم القلاع والحصون الأندلسية الاخرى مثل : (قلعة قلنية) ، و (قلعة شنت اشتينا) ، و (حصن لنيوش)^(٦٤)، للدلالة على عدم المقاومة أمام الفاتحين العرب وانفتاح تلك الأماكن لهم .

كما ان ابن دراج كثيراً ما يشير إلى تدمير الديار في المدن الأندلسية أثناء الفتوحات العربية لها للدلالة على الخضوع الكامل لتلك المدن وقاطنيها لسيطرة الفاتحين ، ثم يعود بعد ذكر هدمها إلى الإفصاح عن قناعة قاطنيها بالدين الجديد وبذلك الفتوحات والاستعاضة عن تلك الديار المادية بالامتثال للدين الإسلامي القويم ، وبحماية القائمين عليه من الفاتحين الجدد ، من ذلك قوله^(٦٥) :

أوطأت أرض المشركين كتائباً	فيها وشيك فنائها ودمارها
وتركت ارض (ليون) وهي	لم تغن بالأمس القريب ديارها
مرفوعة لك في العلا اعلامها	لما غدت بك عافياً آثارها
شيع حواها حد سيفك عنوة	أضحت وعقبى الانتقام قصارها
وفلول من فات القرار بنفسه	جاءت يعاجلها إليك فرارها
من بعد ما عاذت بحفظ	ببروج منع للنجوم جوارها

فقد أشار ابن دراج في ذكره لمدينة (ليون) الأندلسية إلى ثنائية مكانية متعلقة بها تشير إلى (ليون في الماضي / ليون في الحاضر) موضحة في المخطط الآتي :

ليون

أمس
غنية ديارها
مرفوعة أعلامها اعتزازاً
فيها بروج حامية عظيمة
كما أنَّ الشاعر قد أفاد في إثبات تدمير تلك المدينة من المستوحى القرآني في ذكره مثلاً (لم تغن بالأمس القريب ديارها) مستمد من قوله تعالى : «فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» (٦٦) .

وكذلك في البيت الذي يقول فيه :

من بعد ما عانت بحفظ حياتها ببروج منع للنجوم جوارها

إذ انه اقتبسها من قوله تعالى : «أَيُّمًا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ» (٦٧) .
فابن دراج كثيراً ما يستقي أفكاره المكانية من الاقتباسات القرآنية وبخاصة تلك التي يذكر فيها الأعلام المكانية الأندلسية والتي تعني بالنسبة إليه مواطن للكفر والشرك فيسميها بما وسم الله به أماكن الكفار والمشركين .

ولكن في مقابل تلك الدلالات التدميرية للمدن الأندلسية التي يذكرها ابن دراج في شعره ، أشار أيضاً إلى تسامح الدين الإسلامي والعرب الفاتحين فيها ضمن كثير من القصائد الأخرى مثل القصيدة التي يذكر فيها (قشتلة) بعد أن بسط العرب الفاتحون يد الأمن عليها مقابل خضوعها وخضوع قادتها لسيادتهم وإن بقوا على ديانتهم ، فيقول في ذلك (٦٨) :

أحييت منها ملك (رذمير) وقد مشت الدهور عليه والأعصار
وأقمت تاج جبينه من بعدما عفت المعالم منه والآثار
ويسطت من (قشتلة) يد آمن لرضاك فيها يارق وسوار (٦٩)

وقد ذُكر في مناسبة هذه القصيدة انها قيلت في مدح منذر بن يحيى " عند إيابه من العزوة التي عقد فيها الصهر بين ابن فرثلند وابن راي مند " (٧٠) . ويبدو أنَّ ابن دراج قد ذكر (يارق وسوار)

لتناسبهما مع ذكر تلك المناسبة وفي الوقت نفسه ليعلن من خلالهما عن انبساط يد الامن فيها بتطويقهما بقيد مُحَبَّب من قبل الممدوح سيد البلاد .

ولاين دراج في مواضع أخرى من شعره فخر بإسلام أهل البلاد الأندلسية المفتوحة واستتباب الأمن فيها مثل قوله في (طليلة) التي دُعيا مبارك ومظفر لولايتها^(٧١) :

فابن دراج يصف مدينة (طليلة) بالعروس التي تُقَدِّم لها المهور نوالاً لرضاها ، وهو من التقليد المألوف في الشعر العربي للمدن التي تم فتحها^(٧٢) ، مشخصاً لها في لباسها بُزْدُ الوفاء ، وتقليد ترائبها عقد الوفاء إشارةً الى خضوعها الكامل واستتباب الأمن فيها .

كما أنه أشار في هذه الأبيات الى ذكر علم مكاني أندلسي آخر تابع لهذه المدينة ألا وهو (نهر تاجه) الذي أشار إليه بذكر (تاجو) ، ذلك النهر الذي يمثل " الحد الفاصل الرئيسي لبلد الإسلام "^(٧٣) . وقد صوّره تصويراً بصرياً معبراً من خلال تشبيهه بالهلال وقد تكلل بالنجوم ، رامزاً من خلال الهلال إلى الإسلام ، وبالأُنجم إلى المدن الأخرى التي يحدها .

وقد جانس بين (تاجو) و (تاج) ليفيد مما يضيفه الجناس من موسيقية فضلاً عما يحمله من تعزيز للصلات المعنوية بين المتجانسين ، وقد قال ياكوبسن : " إن تعادل الأصوات يتضمن تعادلاً معنوياً بدون نقاش "^(٧٤) .

أما عن الأماكن الأندلسية التي وقعت فيها الحروب الداخلية إثر الفتنة فلم يُكثر ابن دراج ما يشير إليها بتسمياتها ، وربما يكون في ذلك تنديداً بها . إذ نراه لا يشير إليها إلا عند ذكره (وادي آر ، وشرنية ، وقنتيش) فقط التي دارت فيها موقعة قنتيش بين الحكم المستعين ومن معه من جيوش البربر من جهة ، وبين محمد المهدي وحلفائه الإفرنج من الجهة الأخرى^(٧٥) ، والتي يقول فيها^(٧٦) :

هد الجبال الراسيات ويدها
بظبي رؤوس الدارعين حصيدها
أمم بغاة لا يكت عيدها
غلاً فجاؤوا بالرماح تعودها
بطناً وأجساد الغواة صعيدها
أشباعها والله عنك يكيدها
فاضت على الأرض الفضاء
للزحف ثم الى الجحيم حشودها
وريت بعز المسلمين زنودها

واستودعوا جنبي (شرنية) وقعةً
دلفوا إلى شهباء حان حصادهما
وشعاب قنتيش وقد حشرت لهم
فكأنما مرضت قلوبهم لهم
تركوا بها ظهر الصعيد وقد غدا
وكتائب الإفرنج إذ كادت في
بسوابج في لج بحر سوابغ
شلو لأرمنقورها حشرت به
ودنت لها في (آر) تحت صوارم

تتجلى في هذه الأبيات الحرب القائمة في تلك الأماكن على أنها حرب بين الفاتحين العرب / والإفرنجية ، لا كما هي في واقع الحال بين العرب الفاتحين أنفسهم ، مستغلاً مساندة الإفرنجية لأحد الطرفين والذي يمثل أعداء ممدوحيه ، موحياً بسياقه النصي إلى التنديد بهذه الحرب من خلال ذكره للويلات التي ستلحق بها ، وما سيؤديه ثقل وقعها إلى (هذّ الجبال الراسيات) التي قد يشير بها إلى تزعزع ثبات مدن تلك البلاد واستتباب الاستقرار فيها بعد طول عناء .

وفي تأكيده على كون تلك الحرب قائمة بين الإفرنجية / والعرب الفاتحين يستخدم الجناس بين (آر) اسم الوادي الذي وقعت فيه و (أرمنقورها) والتي يريد بها قائد خيل الإفرنج وحليف المهدي^(٧٧) ، ليوحي بتلك الصلة .

أما فيما يخص ذكر المدن الأندلسية الأخرى في شعره ، فقد أعطى لكل منها سمة تتماز بها عن غيرها ، إذ إن " لكل مدينة شخصيتها وروحها المميزة لها عن غيرها من المدن الأخرى تبعاً لتمييز عادات وتقاليد وحاجيات ساكنيها ونشاطاتهم ، وحتى موقعها الطبيعي انغلاقاً أو انفتاحاً " ^(٧٨) . هذا فضلاً عن اختلاف رؤية الشاعر الذاتية إزاء كل مدينة من المدن واختلاف رؤية المنثقي لانطباعات الشاعر إزاء تلك المدن .

إلا إن المتقضي لذكر المدن الأندلسية في شعر ابن دراج يجد أن (قرطبة) تمثل فيها بؤرة مكانية تلك البؤرة التي تعني : " التركيز والتبئير على المستوى المكاني ، أي دفع أحد الأمكنة إلى واجهة الرؤيا والاهتمام على حساب الأمكنة الأخرى " ^(٧٩) .

فكانت (قرطبة) في اغلب قصائده تمثل (المكان الطللي) الذي تعلق به نفسه ، فظل يحن إليها ، ويعلم عن شوقه لها طيلة حياته ، كما أنه قد ذكر في شعره أماكن تابعه لقرطبة مثل (الرصيف) ذلك المكان المعروف بالأسواق والبيوع ومساكن العامة بربضها^(٨٠) ، والذي ورد ذكره أثناء سرده لأحداث وقعت فيه في الواقع ^(٨١) .

كما ذكر من الأماكن التابعة لها أيضاً (الزاهرة) وما تحويه من قصور ممدوحيه التي لقي فيها الخير والنعيم والتي طالما أشاد بذكر عظمة بنائها الذي يوحي بعظمة مالكيها وعظمة مكانتهم في نفسه ، وقد كان ابن دراج كلما أحس بطيب العيش ، أو بالضيق منه ذكر (قرطبة) بفرحها وحرزها ، ذلك الحزن الذي كثيراً ما يشير إليه إثر أحداث الفتنة التي ألمت بها ، ويبدو أنه بتكرار ذكرها يريد أن تكون عبرة لمن يعتبر من المدن الأخرى وحكامها لئلا يؤول حالهم إلى ما قد وصلت إليه من الدمار والهدم ، وهذا الذي حصل فعلاً بسقوط المدن الأندلسية الواحدة تلو الأخرى .

أما (سرقسطة) فخلال مكوته فيها كانت كثيراً ما تذكره (بقرطبة) لما لقي فيها من طيب العيش في ظل منذر بن يحيى ، فتشكل مدينة (سرقسطة) بذلك مكاناً استدعائياً يستذكر من خلاله المكان البوري (قرطبة)^(٨٢) .

كما انه كثيراً ما يفخر بتميز شعره في (سرقسطة) ليشير بذلك الى دلالة هذه المدينة على انتشار العلم والأدب فيها إذ لا يفخر بالتميز إلا في أماكن تزخر به ، فكيف إذا كان سلطانها (مدوحه منذر بن يحيى) قد عرف بسعة ثقافته وعلمه فيقول في فخره بنفسه كونه تميز فيها وشاع ذكره^(٨٣) :

ولكم بدار الملك من (سرقسطة) قلم لأقلام البرية فارغ
بمفاخر من (منذر) ومآثر نظمت بمنطقه فهن شوارع

فابن دراج قد أشار إلى خصوصية المكان الذي يضمه في تلك المدينة بكونه (بدار الملك من سرقسطة) وما يوحيه وجوده في هذا المكان من الخطوة التي لقيها في هذه المدينة ، بما يضمن له الحماية والحصانة والكرم والتألق فيه نتيجة تميزه في الشعر والعلم فهو (قلم لأقلام البرية فارغ) في مدينة اشتهرت بالعلم واستقطاب العلماء حتى قيل انها كانت ملجأ المتقنين الهاربين من حروب الطوائف والفتن التي دبت في جنوب بلاد الأندلس^(٨٤) .

هذا فضلاً عن أنّ ذكر (سرقسطة) في عدد من قصائد ابن دراج قد اقترن بذكر جمال البيئة الأندلسية وما تزخر به من الرياض والأنهار فضلاً عن جمال نسائها ، إذ يقول في إحدى تلك القصائد التي كتبها عن صديق من الوجوه بسرقسطة إلى ذي الكفائتين بمصر^(٨٥) :

وفي (سر من را) من محلي وتزهي بها من صنو دجلة لجة
حدائق جناتٍ نضائر زانها مشابه حسن ما لهن مشابه
ثلاث كأطلاع الظباء روائع نماها إلى الأروام روم وجلق
لتأثر عنا كلما فاه خاطب إذا أجرت الاقلام عنهم بمنطقٍ
تلاعب فيهن الظباء الجآذر^(٨٦) تخلل منها الروض جارٍ وجائر
تقلب أحداقٍ إليها نواظر نظائر شكل ما لهن نظائر
ولا شبه إلا الطلى والنواظر^(٨٧) وارضعها منهم سليم وعامر^(٨٨)
وأغرب رجاز وابدع شاعر أرتك بطون الصحف وهي أزاره

تبرز في هذا النص جمالية المكان الأندلسي في رؤية ابن دراج ، إذ حاول عبر تقنية الوصف أن يقدّم لوحة شعرية مكانية مقتطفة من مدينة (سرقسطة) الأندلسية ، موحياً إلى كون ذلك الجمال المكاني مستوحى من تلاحق الحضارات التي أثّرت فيه . فابن دراج يفتتح القصيدة بعقد مقارنة مكانية بين :

سرقسطة - سر من را

نهر ابرة - نهر دجلة

مفصلاً عن ذكر الأعلام المكانية العربية (سر من رأى ، دجلة) وموحياً من خلالهما إلى الأعلام المكانية الأندلسية (سرقسطة ، ابرة) من خلال ذلك التوافق اللفظي بين كل علم وما يقابله من حيث تجانس عدد حروفها ، وأعدادها ، ووزنها .

إبره

سَرْ قَسْ طَة

دجله

سُرَّمَن رَا

ويبدو أن ابن دراج لقصد ذلك التوافق اللفظي قد حاد عن (سر من رأى) إلى (سر من را) ليشير إلى ذلك التوافق الجمالي المكاني للمدينتين بعدهما مركزين للخلافة والحضارة والعلم والعمران كل في عصره^(٨٩) .

وابن دراج يشير في هذا النص إلى انتمائه الصميمي إلى ذلك المكان الأندلسي بقوله (من محلي) ، ليؤكد حلوله فيه موطناً له متميزاً عن ذلك المكان العربي الذي ينتمي إليه انتماء أصالة وجذر لا انتماء حلول إنساني آني^(٩٠) .

كما انه أردف تلك الخصوصية الانتمائية لمدينة (سرقسطة) بخصوصيتها العمرانية من خلال ذكره لـ(المقاصر) فيها ، تلك اللفظة المكانية التي تعطي للمكان سمة التحصن وعلو العمران وسعته مما يشير إلى الحماية والتطور العمراني والراحة النفسية فيه ، كما انه يوحى بحيوية ذلك المكان أيضاً من خلال الإشارة إلى قاطنيه من النساء الجميلات ، والرجال المتسمين بالصلابة والقوة وطبيعة العلاقة الوطيدة بينهم (تلاعب فيهن الأطباء الجآذر) ، فضلاً عن إيحائه بصوت هدير الماء في ذلك المكان من خلال ذكره (من صنو دجلة لجة تخلل منها الروض) وتكرار حرف (اللام) فيه ، ذلك الحرف الذلق الذي يوحى بانسيابية المياه وجريانها في تلك الرياض^(٩١) .

ويمكن أن نستشف من هذا النص أيضاً هندسة العمران في تلك اللوحة المكانية، إذ يوحى وصفه لها بوجود المقاصر على جانبي النهر وإحاطة كل منها بروض يتخلل ذلك النهر منصفاً المكان الى

منظرين متناظرين رائعي الجمال ، يوحيه أيضاً السياق النصي لهندسية الألفاظ في البيت الشعري
الموحي بذلك المعمار :

مشابه

نظائر

حسن مالهن

شكل مالهن

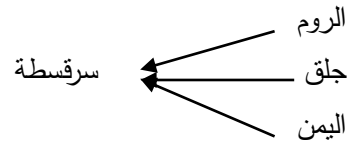
مشابه

نظائر

ثم يؤكد التقسيم الثلاثي لذلك العمران بقوله :

ثلاث كأطلاع الظباء روائع ولا شبه إلا الطلى والنواظر

ويزين ذلك المكان (تقلب احداق إليها نواظر) ليوحي الى حيوية المكان وجمال ساكنيه أيضاً .
كل تلك الجماليات المكانية نجدها مستوحاة من جمالية أوصاف رياض الجنة في القرآن الكريم
ووجود الحور العين فيها ، ويوحي ابن دراج الى ذلك من خلال ذكره
(الروض ، حدائق جنات ، مالهن مشابه) ، فضلاً عن ان كثيراً من المعتقدات تحيل قصدية الإنسان
في تنظيم الحدائق على الأرض إنما تعود إلى تمثلها لذلك الفردوس الأخروي في جنات النعيم^(٩٢) .
هذا وان ابن دراج يؤكد أيضاً على خصوصية ذلك المكان الأندلسي من خلال وصفه بـ(الأراعم)
التي تعني الحجارة التي تنصب ليهتدى بها في المفازة ، جاعلاً منه بذلك الوصف بؤرة مكانية ناتجة
عن تلاقي الحضارات التي التقت فيه لتكون شاخصاً على التطور الحضاري في ذلك العصر ، فهي
نتاج تلاقي الروم ، وخلق (التي يريد بها دمشق) ، وبنو عامر ، وبنو سليم (من القبائل اليمنية) ،
لتكون (سرقسطة) بذلك (مكاناً تناصياً) ، أي تعبر عن " ذلك المكان المركب ، المتشابه من أمكنة
متعددة ، تردد أصداء بعضها البعض "^(٩٣) .



كما تشير تناصية المكان السرقسطي الى ذلك الانصهار الاجناسي المتباين في ساكنيه بفعل ذلك
التلاقي الحضاري والتاريخي والديني والاستيطاني فيها .

ويشير ابن دراج في هذا النص أيضاً إلى ما قد قيل من خطب وأرجاز وأشعار في شأن تلك
المدينة الأندلسية حتى (أرتك بطون الصحف وهي ازاهر) ، مشيراً من خلال ذلك اللون الزهري ، إلى

تألق ذكرها فضلاً عن ان في اختياره هذه اللفظة يوحي ببياض اللون الذي يريد أن يسم به تلك المدينة إشارة إلى ما كانت تعرف به من اسم (المدينة البيضاء) وذلك " لأن أسوارها القديمة كانت من حجر الرخام "(٩٤) ، ليكمل من خلال هذا الوصف رسم اللوحة المكانية المقتطفة من هذه المدينة بسماتها وسمات ساكنيها وألوانها وأصواتها وحيويتها فضلاً عن كونها مركزاً لاستقطاب العلم والعلماء متمسكاً بكل تلك التفاصيل المكانية لتكون رمزاً لثباته إزاء تغير الأزمان والأحوال .

ويبدو ان ابن دراج قد لقي الراحة والاستقرار أيضاً في مدينة (بلنسية) مصرحاً بذلك في قوله محاوراً ناقته (٩٥) :

(بلنسية) مثوى الأماني فاطلبي كنوزك في اقطارها وادخارك
سينيبك زجري عن (بلاء بنسيتها) إذ اصبحت تلك القصور قصارك (٩٦)

وفي حوار الناقة حوار منولوجي للنفس المرهقة من تلاطم أعباء الحياة التي تعلن بوصولها الى (بلنسية) وصولها إلى بر الأمان مصرحاً بذلك من خلال المجانسة بين (بلنسية) و(بلاء نسيتها) في البيتين المتتاليين ليعبر من خلال ذلك الجنس عن تقارب المعنى بين اللفظين .

أما (المرية) فقد ذكرها في مجمل حديثه عن تمني الحصول فيها على الخيرات والكرم ، إذ يقول في ذكرها (٩٧) :

متى تلاحظوا قصر (المرية) ببحر حصي يمناه در ومرجان
وتستبدلوا من موج بحر شجاكم ببحر لكم منه لجين وعقيان

فقد ذكر المكان (قصر المرية) واراد صاحبه (خيران العامري) والي المرية آنذاك ملحاً في تصوير مدى ثرائه وكرمه ليستحثه على إكرام مثواه في تلك المدينة التي عرفت بسعة خيراتها وجودة صناعاتها وعن كونها مرفأً أندلسياً مهماً (٩٨) ، وقد يكون لموقعها الجغرافي ذلك شان في تكرار ابن دراج ذكر (البحر) في هذين البيتين (٣) مرات ليسبغ خصوصية عليها .

خاتمة البحث ونتائجه:

نستنتج مما تقدم في هذا البحث أن أكثر الدلالات التي ذكرها ابن دراج فيما يتعلق بالأعلام المكانية في شعره تتفق والسياقات التاريخية التي عُرِفَتْ بها ، سواء منها العربية أو الأندلسية أو غيرها من الأعلام المكانية الأخرى التي لم نعرض لذكرها في هذا البحث لوضوح دلالاتها^(٩٩) ولا يعد ذلك عيباً فنياً عند الشاعر إذ أحسن عرضها في أساليب تكتنفها جودة السبك ، وقوة العبارة، وبناء النسق اللغوي المصاحب لها^(١٠٠) .

ومما يستوقفنا في ذكر الدلالات المكانية الأندلسية ، عدم إشارة ابن دراج إلى دلالاتها التاريخية أو إلى أصلاتها أو ضلوعها في التراث الثقافي ، ويبدو أن " هذا راجع إلى أن الثقافة في الأندلس لم تكن قبل الفتح الإسلامي من الازدهار والقوة بحيث تستطيع فرض وجودها داخل ثقافة الفاتح "^(١٠١) . وهذا ما جعل أنظار الأندلسيين تتجه صوب المشرق العربي مستلة أصلاتها وتراثها وقدمها من امتداد جذورها فيه ، مفضلين أماكنه على الأماكن الأندلسية وبهذا يمكن عدها الطلل الأمومي الذي يحنون إليه ، والذي باعتباره الطلل الأم للبشرية جمعاء يستوحي طليلته من الجنة التي تعد الموطن البشري السابق له ، وبهذا يكون :

الطلل القريب لابن دراج (قرطبة)

الطلل البعيد له (أماكن المشرق العربي)

الطلل الأبعد والمستقبل المؤمل (الجنة)

ثبت المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- الأدب الأندلسي : ماريا خيسوس ، ترجمة وتقديم : أشرف علي دعور ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، (د . ط) ، ١٩٩٩ م .
- الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة : د. أحمد هيك ، دار المعارف بمصر ، ط ٧ ، ١٩٧٩ م .
- الأدب العربي في الأندلس تطوره - موضوعاته - وأشهر أعلامه : د . علي محمد سلامة ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٩ م .
- أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث - حياتهم - آثارهم - نقد آثارهم : بطرس البستاني ، مكتبة صادر ، بيروت ، (د . ط) ، ١٩٣٧ م .
- استراتيجية التسمية في نظام الأنظمة المعرفية : مطاع صفدي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ط ٢ ، ١٩٨٦ م .
- تاريخ الخلفاء : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار العلوم الحديثة ، بيروت - لبنان ، مكتبة الشرق الجديد ، بغداد ، ط ٣ ، ١٩٨٧ م .
- تاريخ الفكر الأندلسي: أنخل جنثالث بالنثيا ، نقله عن الاسبانية : د . حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ١ ، ١٩٥٥ م .
- التراث والحدائث دراسات ومناقشات : د . محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٩٩١ م .
- جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب : د . ماهر مهدي هلال ، دار الرشيد للنشر ، سلسلة دراسات (١٩٥) ، العراق ، ١٩٨٠ م .
- جماليات المكان : جاستون باشلار ، ترجمة : غالب هلسا ، كتاب الأقلام (١) ، يصدر عن مجلة الأقلام ، دار الجاحظ ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، دار الحرية للطباعة ، (د . ط) ، ١٩٨٠ م .
- جماليات المكان : مجموعة باحثين ، بحث (مشكلة المكان الفني ، التقديم له : المكان ودلالاته) ، الناشر : عيون المقالات ، الدار البيضاء ، مطبعة دار قرطبة ، ط ٢ ، ١٩٨٨ م .
- الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس : تحرير : د . سلمى الخضراء الجيوسي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت - لبنان ، ط ٢ ، تشرين الثاني (نوفمبر) - ١٩٩٩ م .
- دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر ، عن الانترنت : اتحاد الكتاب العرب بدمشق ، www.awu-dam.org .
- ديوان ابن دراج القسطلبي (ت ٤٢١ هـ - ١٠٣٠ م) ، حققه وعلّق عليه وقّم له : د. محمود علي مكي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٨٩ هـ .
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : أبو الحسن علي بن بسم الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ) ، تحقيق : د . إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان ، (د . ط) ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

- الرؤى المقنعة - نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي ، (١) البنية والرؤيا : كمال أبو ديب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د . ط) ، ١٩٨٦ م .
- الشعر في قرطبة من منتصف القرن الهجري الرابع إلى منتصف القرن الخامس : د. محمد سعيد محمد ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة ، (د . ط) ، ٢٠٠٣ م .
- شعرية المكان في الرواية الجديدة (الخطاب الروائي لإدوار الخراط نموذجاً) : خالد حسين حسين ، كتاب الرياض (٨٣) ، مؤسسة اليمامة الصحفية ، الرياض ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
- شعرية المكان في الرواية الجديدة ، (الخطاب الروائي لإدوار الخراط نموذجاً) : خالد حسين حسين ، كتاب الرياض (٨٣) ، مؤسسة اليمامة الصحفية ، الرياض ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
- العراق في التاريخ : مجموعة باحثين بحث(سُر من رأى مركزاً للخلافة : د. صالح احمد العلي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، (د.ط)، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- العزلة والمجتمع : نيقولا بريديف ، ترجمة : فؤاد كامل ، مراجعة : علي ادهم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ط ٢ ، ١٩٨٦ م .
- علم النص : جوليا كرسيفا ، ترجمة : فريد الزاهي ، مراجعة : عبد الجليل ناظم ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ١٩٩١ م .
- الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا : د . إبراهيم جنداري ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠٠١ م .
- فضائل الأندلس وأهلها : لابن حزم وابن سعيد والشقندي ، نشرها وقدم لها : د . صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، سلسلة رسائل ونصوص (٥) ، ط١ ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م .
- فلسفة المكان في الشعر العربي - قراءة موضوعاتية جمالية - دراسة : د. حبيب مونسي ، اتحاد الكتاب العرب - دمشق ، (د . ط) ، ٢٠٠١ م .
- فلسفة المكان في الشعر العربي - قراءة موضوعاتية جمالية - دراسة : د. حبيب مونسي ، اتحاد الكتاب العرب - دمشق ، (د . ط) ، ٢٠٠١ م .
- في الشعر الأندلسي : د . عدنان صالح مصطفى ، دار الثقافة ، الدوحة - قطر ، (د . ط) ، ١٩٨٧ م .
- في سيمياء الشعر القديم - دراسة نظرية تطبيقية : د. محمد مفتاح ، دار الثقافة ، الدار البيضاء - المغرب ، ط١ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م .
- في طريق الميثولوجيا عند العرب - بحث مسهب في المعتقدات والأساطير العربية قبل الإسلام : محمود سليم الحوت ، دار النهار للنشر ، ط ٢ ، ١٩٧٩ م .
- قضايا حول الشعر : د . عبده بدوي ، ذات السلاسل للطباعة والنشر ، الكويت ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- لسان العرب المحيط : للعلامة ابن منظور ، قدم له الشيخ عبد الله العلي ، إعداد وتصنيف : يوسف خياط ، دار لسان العرب ، بيروت - لبنان ، (د . ط) ، (د . ت) .
- المدن في الإسلام حتى العصر العثماني : شاكرا مصطفى ، دار السلاسل للطباعة والنشر ، الكويت ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- معجم الأساطير : لطفي الخوري ، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٩٠ م .

- معجم البلدان : شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، (د . ط) ، (د . ت) .
- معرفة الآخر - مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة : عبد الله إبراهيم و سعيد الغانمي وعواد علي ، المركز الثقافي العربي - بيروت ، الحمراء - الدار البيضاء ، ط ١ ، ١٩٩٠ م .
- موسوعة تاريخ الأندلس - تاريخ وفكر وحضارة وتاريخ : د. حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد - مصر ، (د . ط) ، (د . ت) .
- النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية : عبد الله محمد الغزالي ، المركز الثقافي العربي ، الرياض ، (د . ط) ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
- النقد الفني - دراسة جمالية وفلسفية : جبروم ستولنيتز ، ترجمة : فؤاد زكريا ، مطبعة جامعة عين شمس ، مصر ، (د . ط) ، ١٩٧٤ م .

الأطاريح والرسائل الجامعية

- ابن دراج القسطلي - حياته وأدبه : محمد محمود يونس ، (رسالة ماجستير) ، بإشراف: د. صلاح خالص ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، حزيران ١٩٧٥ م .
- البحر في الشعر الأندلسي في القرن الخامس الهجري : صالح محمود محمد هلال ، (رسالة ماجستير) ، بإشراف : د. نزهة جعفر الموسوي ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .
- العلامة في ثلاثية أرض السواد لعبد الرحمن منيف - دراسة سيميائية : فيصل غازي محمد النعيمي ، (اطروحة دكتوراه) ، بإشراف : أ.م.د. عبد الستار عبد الله صالح ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
- المكان في شعر ابن دراج القسطلي: د. غيداء أحمد سعدون ، أطروحة الدكتوراه ، بإشراف: أ.د. نزهة جعفر الموسوي ، جامعة الموصل ، كلية التربية ، قسم اللغة العربية ، ٢٠٠٦ م .

الدوريات:

- (السكن في التراث العربي) : نبيلة عبد المنعم داود ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، الإمارات ، س٩ ، ع٣٣ ، محرم ١٤٢٢ هـ - نيسان ٢٠٠١ م
- (العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها) : عبد العزيز سالم ، عالم الفكر ، مج٨ ، ع١ ، ١٩٧٧ م .
- (تمثيل الواقع وإشكالاته المنطقية والجمالية) : عز العرب لحكيم بناني ، مجلة المناهل ، ع٦٢-٦٣ ، ماي ٢٠٠١ م .
- (جماليات المكان في شعر عرار) : تركي المغيضي ، مجلة جامعة مؤتة للبحوث والدراسات الإنسانية ، مج٤ ، ع٢ ، ١٩٨٩ م .
- (سرقسطة الأندلسية في الأمس واليوم) : محسن الرملي ، مجلة عمان ، ع٧٥ ، ٢٠٠١ م (صورة المشرق في المتخيل الأندلسي) : زين العابدين بن طاهر ، مجلة المناهل ، ع٦٨ ، يوليو ٢٠٠٣ م .

الهوامش

- * البحث مستل من أطروحة الدكتوراه غير المنشورة (المكان في شعر ابن درّاج القسطلي): د. غيداء أحمد سعدون، جامعة الموصل، كلية التربية، قسم اللغة العربية، ٢٠٠٦م .
- (^١) ينظر: جماليات المكان: مجموعة باحثين، بحث (مشكلة المكان الفني، التقديم له: المكان ودلالاته): ٦١-٦٢؛ الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا، ٢١٦-٢١٧ .
- (^٢) من أقوال سليم بركات، نقلاً عن (شعرية المكان في الرواية الجديدة، ٣٠١)؛ وينظر: (تمثيل الواقع وإشكالاته المنطقية والجمالية): عز العرب لحكيم بناني، مجلة المناهل، ٦٢-٦٣، ماي ٢٠٠١م، ٣٦-٣٧ .
- (^٣) من أقوال لاكان، نقلاً عن (استراتيجية التسمية، ١١١)؛ وينظر: معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة: عبد الله ابراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي، ٨٢ .

٤٤

- (^٤) العزلة والمجتمع ٨٣ .
- (^٥) النقد الفني - دراسة جمالية وفلسفية: جيروم ستولنيزر، ترجمة: د. فؤاد زكريا، ٧٩ .
- (^٦) فلسفة المكان في الشعر العربي، ١٢٩-١٣٠ .
- (^٧) نفسه، ١٢٨؛ وينظر: استراتيجية التسمية، ١٩٢ .
- (^٨) شعرية المكان في الرواية الجديدة، ٧١ .
- (^٩) ينظر: في الشعر الأندلسي: د. عدنان صالح مصطفى، ١٠٥ .
- (^{١٠}) ينظر: ديوان ابن دراج، مقدمة المحقق، ٥٧ .
- (^{١١}) العزلة والمجتمع، ١٣١ .
- (^{١٢}) ديوان ابن دراج القسطلي، ٧ .
- (^{١٣}) المروتين: يريد بهما الصفا والمروة وهما جبلان بمكة يكون السعي بينهما، وقد ذكر (المروتين) من باب التغليب (لسان العرب المحيط، مادة (مرا)).
- (^{١٤}) الفجاج: الطرق الواسعة في الجبل (لسان العرب المحيط، مادة (فجج)).
- (^{١٥}) شامة وطفيل: جبلان بمكة .
- (^{١٦}) جماليات المكان: باشار، ٤٥ .
- (^{١٧}) سورة البقرة/ الآية ١٢٥؛ وينظر عن قدسية (المقام) أيضاً: معجم البلدان، ٢١٢/٢؛ في طريق الميثولوجيا عند العرب، ١٣٠-١٣١ .
- (^{١٨}) لسان العرب المحيط، مادة (شيم) .
- (^{١٩}) نفسه، مادة (طفل) .
- (^{٢٠}) ديوان ابن دراج، ٧١ .
- (^{٢١}) - أجياد: اسم لموضع بمكة يلي الصفا (معجم البلدان: ياقوت الحموي، مج ١/ ١٠٥) .
- الركن: مكان الحجر الأسود في ركن الكعبة المشرفة والذي يقول فيه ولها وزن أن قدسية الكعبة متأنية منه (ينظر: في طريق الميثولوجيا عند العرب ١٣٠-١٣١) .
- الظنر: العاطفة على غير ولدها، المرصعة له من الناس والإبل .
- البطحاء: يريد بها بطحاء مكة وابطحها لانبطاحها (معجم البلدان، مج ١/ ٤٤٦) .
- الججر: يريد به حجر الكعبة: وهو اسم الحائط المستدير إلى جانب الكعبة الغربي، وهو ما تركته قرش في بنائها من أساس ابراهيم عليه السلام (ينظر: معجم البلدان، مج ١/ ٤٤٦) .
- (^{٢٢}) ينظر: في طريق الميثولوجيا عند العرب، ١٢٧-١٢٨ .
- (^{٢٣}) معجم البلدان، مج ٥/ ٢٦٢ .
- (^{٢٤}) قضايا حول الشعر، ج ١/ ٧٤ .
- (^{٢٥}) ديوان ابن دراج القسطلي، ٦٣ .
- (^{٢٦}) (صورة المشرق في المتخيل الأندلسي): زين العابدين بن طاهر، مجلة المناهل، ٦٨٤، يوليو ٢٠٠٣م، ١٤٧ .

- (٢٨) ديوان ابن دراج القسطل، ٧٥ .
- (٢٩) ينظر : ابن دراج القسطل حياته وادبه ، (رسالة ماجستير) ، ٢٢٥ .
- (٣٠) ديوان ابن دراج ، ٩١ .
- (٣١) نفسه ، ١٨٠ .
- (٣٢) نفسه ، ٤١٦ .
- (٣٣) نفسه ، ١٣٦ .
- (٣٤) ديوان ابن دراج ، ١٣٦ .
- (٣٥) صر بلذنه وأصر بها : أي سواها ونصبها للاستماع .
- (٣٦) ديوان ابن دراج ، ١٧٢ .
- (٣٧) نفسه ، ٧٧ .
- (٣٨) ديوان ابن دراج ، ٤٥٣ .
- (٣٩) في الاصل "سر من رأى" .
- (٤٠) فضائل الأندلس وأهلها ضمن (رسالة ابي محمد بن حزم في فضائل الاندلس) ، ٨ .
- (٤١) ديوان ابن دراج ، ٧١ ؛ وينظر نفسه : ١٠٦ ، ٢٦٤ ، ٣٠٣ ، ٣١٣ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩ .
- (٤٢) يشير الى انتساب المرتضى المرواني الى بني عبد شمس (ينظر : تاريخ الخلفاء : جلال الدين السيوطي، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ٢١٤) .
- (٤٣) ينظر : النقد الثقافي ، ١٤٥ .
- (٤٤) ديوان ابن دراج ، ١١٢ .
- (٤٥) - صنعاء : بلد اشتهرت بعمرانها الحضاري .
- أرم ذات العماد : بلدة قوم عاد ، كانت في اليمن بين حضرموت وصنعاء من بناء شداد بن عاد التي جعلها على صفة الجنة طغياناً منه (ينظر : معجم البلدان ، مج ١ / ١٥٥ ؛ معجم الأساطير ، ج ٣ / ١) .
- سندان : اسم لقصر في الكوفة كانت تحج اليه العرب في عصر ما قبل الإسلام (ينظر : معجم البلدان ، مج ٣ / ٢٦٦) .
- غمدان : اسم لأول قصور اليمن وأعجبها ذكراً ، يرجع بناؤه إلى عهد سام بن نوح ، أو يروى انه أحد ثلاثة قصور أمر النبي سليمان عليه السلام الجن ببنائها لبلقيس (ينظر : لسان العرب المحيط ، مادة (غمد) ؛ في طريق الميثولوجيا عند العرب ، ١٨٧-١٨٩) .
- (٤٦) - الأبلق الفرد : اسم حصن للسموأل بن عادياء ، مشرف على تيماء بين الحجاز والشام (ينظر : معجم البلدان ، مج ٧٥ / ١) .
- الأبراج من أجاً : أبراج عالية بنيت على جبل أجاً الذي هو من جبال طيء (معجم البلدان ، مج ١ / ٩٤، ٩٩) .
- السيجلين : قصر بناه الحارث بن رانش أحد ملوك اليمن بين صنعاء وسد مأرب (ينظر : معجم البلدان ، مج ١ / ٢٩٩) سد كان ما كانا : يريد به سد مأرب الشهير .
- (٤٧) ينظر : الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، بحث (تاريخ الأندلس السياسي ٩٢-٨٩٧هـ/ ٧١١-٩٢٢م دراسة شاملة : محمود مكي) ، ج ١ / ١٠٤ ؛ ابن دراج القسطل - حياته وادبه - (رسالة ماجستير) ، ١٦٨ .
- (٤٨) الروى المقتعة ، ٤٨٨ ؛ في سيمياء الشعر القديم ، ٩٩ .
- (٤٩) الروى المقتعة ، ٣٢٥ .
- (٥٠) ينظر : الأدب العربي في الأندلس ، ٢٨٢-٢٨٣ ؛ الشعر في قرطبة ، ٤٤٣-٤٤٦ .
- (٥١) الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة ، ٢٦٥ .
- (٥٢) تاريخ الفكر الأندلسي : أنخل جنثالث بالنثيا ، نقله عن الاسبانية : د. حسين مؤنس ، ٦٥ .
- (٥٣) أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث ، ٦٦ .
- (٥٤) ديوان ابن دراج ، ٣٣١-٣٣٢ ، وينظر تفصيل القول عن الأعلام المكانية التي ضمتها في هوامش الصفحات ٣٢٨-٣٣٢ من الديوان نفسه .
- (٥٥) نفسه ، ٣٣٢ ضمن الهامش (١) .

- (٥٦) سورة البقرة / الأيتان ١٧-١٨ .
- (٥٧) ديوان ابن دراج ٣٧٣ ، وينظر في الهامش منها تفصيل القول عن تلك الغزوة .
- (٥٨) سورة الأنفال / الآية ٤٨ .
- (٥٩) ديوان ابن دراج ٣٧٥ ؛ وينظر في التعريف بمدينة (إيلياء) الأندلسية هامش الصفحة ذاتها .
- (٦٠) آية : من آلى يولى إيلاء : حلف ، وآليت على الشيء وآليته ، على حذف الحرف : أقسمت (لسان العرب المحيط ، مادة (ألا)) .
- (٦١) نفسه ، مادة (أيل) .
- (٦٢) ينظر : (جماليات المكان في شعر عرار) : تركي المغيص ، مجلة جامعة مؤتة للبحوث والدراسات الإنسانية ، مج ٤ ، ٢٤ ، ١٩٨٩م ، ١٩٤ .
- (٦٣) ديوان ابن دراج ، ٢١ .
- (٦٤) ينظر : ديوان ابن دراج ، ١٥ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٩١ .
- (٦٥) نفسه ، ٣٤٧ .
- (٦٦) سورة يونس / الآية ٢١١ .
- (٦٧) سورة النساء / الآية ٧٨ .
- (٦٨) ديوان ابن دراج ١٢٨ .
- (٦٩) يارق : ضرب من الأسورة .
- (٧٠) ديوان ابن دراج ، ١٢٤ .
- (٧١) نفسه ، ٤٤٣ ، وينظر في التعريف بهذه المدينة : المدن في الإسلام حتى العصر العثماني ، ٤٧٨ .
- (٧٢) ينظر : الأدب الأندلسي : ماريا خيسوس ، ٣٠٨ .
- (٧٣) موسوعة تاريخ الأندلس ، ١٢ .
- (٧٤) R.Jakobson.E,Essais.deLinguistiqueGenerale.Paris.Minuit.1963.P.235.C.K.Oreecchion.
p.40
- (نقلًا عن : في سيمياء الشعر القديم ، ٣٥) .
- (٧٥) ينظر في التعريف بهذه الاماكن والتعريف بالموقعة : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، مج ١/ ق ٦٧/١ ؛ هامش (٥) من ديوان ابن دراج ، ٥٤ .
- (٧٦) ديوان ابن دراج ، ٥٥-٥٤ .
- (٧٧) ينظر لمزيد من التفاصيل هامش (٣) من ديوان ابن دراج القسطلي ، ٥٥ .
- (٧٨) دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر ، عن الانترنت : اتحاد الكتاب العرب بدمشق ، www.awu_dam.org .
- (٧٩) شعرية المكان في الرواية الجديدة ، ١٩٥ .
- (٨٠) ينظر : معجم البلدان ، مج ٤/ ٣٢٤ ؛ هامش (١) من ديوان ابن دراج ، ٣٦٤ .
- (٨١) ينظر : ديوان ابن دراج ، ٣٦٤ .
- (٨٢) ينظر : ديوان ابن دراج ، ١٣٨ .
- (٨٣) نفسه ، ٢٦٥ .
- (٨٤) (سرقسطة الأندلسية في الأمس واليوم) : محسن الرملي ، مجلة عمان ، ٧٥٤ ، ٢٠٠١م ، ٩ ؛ وينظر للمزيد من التفاصيل عنها : موسوعة تاريخ الأندلس ، ٤٧٥ ؛ المدن في الإسلام حتى العصر العثماني ، ٨٤ .
- (٨٥) ديوان ابن دراج القسطلي ٤٥٣ .
- (٨٦) - (سر من رأ) يريد بها (سر من رأى) .
- المقاصر : جمع مقصورة وهي كل ناحية من الدار الواسعة المحصنة الحيطان .
- الجائر : جمع جؤنر وهو البقرة الوحشية (لسان العرب المحيط ، مادة (قصر ، جائر)) .
- (٨٧) الطلى : الأعناق (لسان العرب المحيط ، مادة (طلي)) .
- (٨٨) - الأراءم : جمع رئم ، وهي حجارة تنصب في المفازة يُهتدى بها .

- جَلَّقَ (بالتشديد وكسر الجيم) : موضع بالشام معروف ، قال ابن بري : جَلَّقَ اسم دمشق ، (لسان العرب المحيط ، مادة (رثم ، جلق)) . سليم وعامر : قبائل يمنية .
- (^{٨٩}) ينظر : العراق في التاريخ : مجموعة باحثين بحث (سُرُّ من رأى مركزاً للخلافة : د. صالح احمد العلي) ، ٤١٩ .
- (^{٩٠}) ينظر عن خصوصية الألفاظ المكانية السكنية : (السكن في التراث العربي) : نبيلة عبد المنعم داود ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، الإمارات ، س٩ ، ع٣٣ ، محرم ١٤٢٢ هـ - نيسان ٢٠٠١ م .
- (^{٩١}) ينظر : جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب : ماهر مهدي هلال ، ١٣٨ - ١٣٩ .
- (^{٩٢}) ينظر : الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، بحث (الحديقة الأندلسية : دراسة أولية في مدلولاتها الرمزية) ، ج٢ / ١٤١١-١٤٣٥ .
- (^{٩٣}) شعرية المكان في الرواية الجديدة ، ٢١٣ ؛ وينظر : علم النص : جوليا كرسنيفا ، ترجمة : فريد الزاهي ، ٢١ ؛ العلامة في ثلاثية أرض السواد لعبد الرحمن منيف - دراسة سيماثية - : فيصل غازي النعيمي ، (أطروحة دكتوراه) ، ١١١ .
- (^{٩٤}) المدن في الإسلام حتى العصر العثماني ، ٤٧٩ .
- (^{٩٥}) ديوان ابن دراج القسطلي ، ٨٩ .
- (^{٩٦}) قصارك : غايثك وآخر أمرك .
- (^{٩٧}) ديوان ابن دراج القسطلي ٧٦ .
- (^{٩٨}) ينظر للمزيد من التفاصيل عن هذه المدينة : (العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها) : عبد العزيز سالم ، عالم الفكر ، مج٨ ، ع١ ، ١٩٧٧م ، ١٠٥ ؛ موسوعة تاريخ الأندلس ٤٧٦ ؛ المدن في الإسلام حتى العصر العثماني ، ٢٥٧ ؛ البحر في الشعر الأندلسي في القرن الخامس الهجري : صالح محمود محمد هلال ، (رسالة ماجستير) ، ٨٧ .
- (^{٩٩}) ينظر على سبيل المثال : ديوان ابن دراج ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ١٠٥ ، ١٩١ ، ٣١٢ ، ٤٥٧ .
- (^{١٠٠}) فلسفة المكان في الشعر العربي ، ٧٨ .
- (^{١٠١}) التراث والحداثة ، ١٨٢ .